اهداءات ٢٠٠٢

دار الايمان

الإغراق في الجزئيات

تأليف
سلمان بن فهد العودة

إعتنى به وخرج أحاديثه
محمد حامد محمد

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

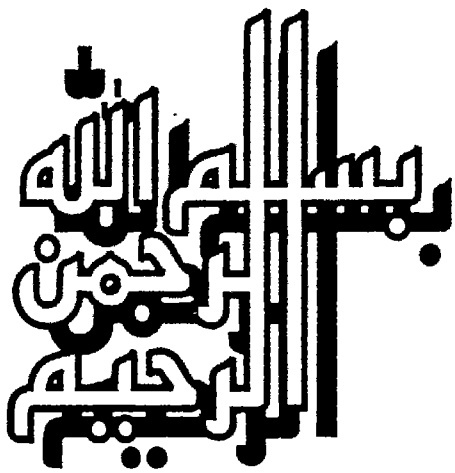
بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع 9298 / 2000

الترقيم الدولى

977 - 331 - 020 - 5

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

مقدمة :

هذه محاضرة من محاضرات **فضيلة الشيخ / سلمان العودة** ، أبى معاذ - حفظه الله - قد ألقاها فى أحد المراكز الإسلامية بالمملكة العربية السعودية عام ١٤١٢هـ .

وقد رأى الأخ الكريم / يسرى محمد عبد الله ، صاحب دار الإيمان للطبع والنشر من باب : نشر العلم والنصيحة فى الدين ، أن يقوم بنشر هذه المحاضرة فى كتاب يسهل تناوله وتداوله بين الأيدى ، ولا سيما قلة وندرة ما كتبه الشيخ - حفظه الله - من كتب .

وقد كلفنى الأخ الكريم بهذه المهمة - وما أصعبها - فسامحه الله وعفا الله عنه وعنا ، وقد قمت بتفريغ محتوى الشريط نصاً كما قال الشيخ - حفظه الله - للأمانة العلمية ، وتم تخريج بعض الأحاديث ، وترقيم الآيات ، وتفسير ما يغمض من معنى إن أمكن ذلك .

وفضيلة الشيخ / سلمان العودة - حفظه الله - من العلماء الدعاة الذين لهم نهجهم وثقافتهم وطريقتهم الخاصة فى الدعوة إلى الله .

عميق الفكرة ، واسع الإطلاع ، مُلمّ بالأحداث ، خير من يتكلم فى فقه الواقع والأمور الدعوية ، التى يحتاجها شباب الصحوة الإسلامية الأن ، ولا نزكى على الله أحداً .

فاللهم اجزه عنا خير الجزاء .

وكتبه

محمد حامد محمد

الإغراق في الجزئيات

بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الحمد لله نحمده ونستغفره ، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

أيها الأحبة :

لا أشبه نفسى بين أيديكم فى هذه الأمسية المباركة فى ليلة الخميس السابع عشر من شهر ربيع الثانى لسنة ألف وأربعمائة واثنتى عشرة للهجرة إلا كما يكون الطالب إذا وقف فى صالة الإمتحان وأراد أن يكتب ما فى ذهنه من الجواب فرأى أن أمامه سؤالاً طويلاً عريضاً يستغرق الجواب عنه ساعات وساعات ، فقد تجشمت [1] على إعلان هذا الموضوع أو الموافقة عليه ، ألا وهو « **الإغراق في الجزئيات** » وكنت أحسبه موضوعاً محدوداً يمكن أن يمربه الإنسان فى ساعة أو بعض ساعة ، فلما فكرت فى هذا الموضوع وتأملت وقلبت وجوهه وناقشته مع جمع من الدعاة والعلماء والمفكرين وراجعت فيه ما راجعت ، تبين لي أن هذا الموضوع أكبر من أن تحيط به جلسة أو يحده حديثاً عابراً ، إذ إن الإغراق فى الجزئيات كظاهرة سلبية فى حياة المسلمين اليوم بل ومنذ عشرات السنين ، ليست ظاهرة محصورة فى جانب فحسب ، ليست خطأ

---

(١) تجشم الأمر : أى تكلفه على مشقة « الصحاح » .

يعيشه الدعاة فقط ، وإنما هى خطأ يعيشه المسلمون فى كل جوانب حياتهم بلا استثناء ، فهم مغرقون فى الجزئيات فى أدق أمورهم وأعظمها واشتغالهم بالجزئيات شغلهم عن العناية بالكليات ، والإهتمام بمعالي الأمور .

أيها الأحبة ، ومن ذلك :

١ - قضية الدعوة إلى الله تعالى :

فإن الدعوة إلى الله تعالى والتعليم ونشر العلم لا تزال جهوداً مبعثرة يقوم بها أفراد محتسبون لوجه الله تعالى ، يتحرك كل منهم بحسب اهتماماته وبحسب طاقته ، وبحسب مستواه ومداركه العقلية ولا يكاد يوجد إطار عام يتحرك فيه الدعاة والعلماء أو على الأقل : يوجد خطوط عريضة تستطيع أن توجه المسلمين إلى الإهتمام بالأمور بحسب أهميتها فيعطى كل ذى حقٍ حقه ولا يُجار على شيء على حساب شيء آخر .

إننا فى أمسّ الحاجة إلى من يقول لنا : هذا أمرٌ كبير وهذا صغير ، وهذا أصل وهذا فرع ، وهذا مهم وهذا أهم ، وهذا يُبدأ به اليوم ، وهذا يؤجل إلى الغد ، ولكن هذه الكلمة نستطيع أن نقول إننا لا نكاد نسمعها اليوم على أى مستوى ، فكل واحد منا لديه اهتمامات ، إهتمام بقضايا سواء من أمور الفقه أو من أمور الأحكام العلمية التفصيلية الأخرى أو من أمور بعض القضايا العلمية أو من أمور الإقتصاد أو من أمور السياسة أو من أمور الإدارة ، ونجد أنه يدور حول هذه القضايا التى تشغله دون أن يفكر : هل إهتمامه بهذا الأمر صحيح أم أنه يجب أن يصرف الإهتمام إلى ما هو أجدى وأهم ؟.

لقد بُلينا بطائفة من المسلمين ، بل أحياناً من الدعاة إلى الله تعالى الذين هم على الإفتراض من خيار المسلمين ، همهم تحول إلى العناية بفروع المسائل

وجزئياتها فأسهروا ليلهم وأفنوا نهارهم بقتل هذه المسائل والخِدال حولها حتى لكأنها الدين كله أو أنها من أهم مسائل الدين مع أنها يمكن أن تكون سُنة من السُنن حتى من تركها متعمداً لم يكن عليه حرج ولا تثريب ، وإن كان الأولى بالمسلم أن يتبع رسول الله ﷺ في دقيق الأمور وجليلها .

وفي مقابل ذلك بُلينا بطائفة أخرى أرادت فيما تزعم أن تعالج هذا الداء ، فتحول الأمر عندها إلى إهمال كامل للجزئيات واعتبار أن هذه الجزئيات عبارة عن قشور ، أو كما يقول بعضهم : عبارة عن توافه لا قيمة لها [1] ، ولا ينبغي الإشتغال بها ، بل أصبحت موضع للسخرية والنقد والتندُّر من طائفة مع الأسف من العلماء والدعاة والوعاظ والمفكرين ، مع إننا نقول في حقيقة الأمر هذا كله دين الكبير والصغير ، والأصل والفرع ، والجزء والكل ، مما يتعلق بقضية الإسلام فهو دين في الحديث المعروف حديث عمر وأبي هريرة لما جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ وسأله عن الإسلام والإحسان والإيمان ، كان من ضمن ما سأله ، سأله عن بعض القضايا التفصيلية كما في بعض الروايات [2] ، قضايا عديدة مثل : قضايا الغُسل والجنابة ، مع ذلك لما انتهى قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم ، فكل ما جاء به الرسول فهو دين ينبغي الإهتمام به والعناية به [3] وألاَّ يكون محط سخرية أو استهزاء أو نقص من أحد ، لكن

---

(١) ويتنازلون عن بعض السنن الظاهرة كحلق اللحى وإسبال الثياب وليس عندهم مانع من التحالف مع النصارى أو مع الشيوعين أو العلمانيين بحجة نشر دعوتهم أو دخول مجلس الشعب أو بحجة التقية وأننا نعيش فترة استضعاف ولم يمكنّ لنا بعد فيجوز لنا كل ذلك في سبيل الدعوة ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

(٢) الحدث في صحيح مسلم رقم « ١ و ٨ و ٩ » .

(٣) لقوله ﷺ « عليكم بسنتي ... » الحديث .
أخرجه أبو داود « ٤٦٠٧ » والترمذي « ٢٨٧٦ » وصححه الألباني – رحمه الله – في الإرواء رقم « ٢٤٥٥ » وفي تخريج السنة برقم « ٣١ ، ٥٤ » .

ينبغى أن يُعطى كل ذى حق حقه ويوضع كل شىء فى نصابه .

إن من العجب أيها الأخوة أن بعض هؤلاء الدعاة الذين يزعمون أو يعتقدون محاولة الإصلاح والتغير ، هم الذين يتسببون أحياناً فى إثارة بعض الجزئيات وإشغال الناس بها وصرفهم عن معالى الأمور وعما عداها ، هم الذين يتسببون فى ذلك لأنهم يطرحون وجهات نظرهم بطريقة غريبة ، طريقة استفزازية طريقة غير موضوعية وغير صحيحة أيضاً ، ولعل أقرب مثال أن أحد كبار المفكرين كتب قبل يومين فى جريدة سيارة فى هذه البلاد وكُتب بخط عريض : لا يوجد دليل من القرآن والسُّنة على تغطية المرأة وجهها . فإذا أثار هذه القضية فمن الطبيعى أن يكون هناك نقد ورد وأخذ وعطاء فى هذه المسألة ، وليس صحيحاً أن يطرح إنسان وجهة نظره فى قضية معينة ثم إذا طُرحتْ وجهة نظر معارضة قال : يا أخى هذه جزئيات قشور هذه توافه .

طيب إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا تشتغل بها أنت ولماذا تتحدث عنها ، ولماذا لا تنصرف إلى ما تعتقد أنه أهم منها وأجدى وأنفع للمسلمين فى دينهم ودنياهم ؟؟ .

إذاً البحث والدليل رائد الجميع ونحن لا ننتقص أحد يتكلم فى قضية من قضايا الدين لكن ينبغى أن يتكلم بتعقل وموضوعية واتباع للدليل من كتاب الله تعالى أو سُنة رسوله أو إجماع الأمة ، وكذلك ينبغى أن يكون الحديث عن الموضوعات بحسب أهميتها وثقلها فى ميزان الإسلام .

وإزاء هذين الطرفين المتقابلين ، طرف المهتمين بالجزئيات ، وطرف الذين يهوّنون من شأنها كان لابد من طرح هذا الموضوع .

مع أننى أقول : إن هذه قضية ليست قضية الدعاة فحسب ، هى قضية

المسلمين ، لو أتيت إلى الرجل فى بيته وجدته يهتم بالجزئيات وينسى الكليات ولو أتيت إلى المدرس لوجدته كذلك ، ولو أتيت إلى الداعية لوجدته كذلك ، ولو أتيت إلى الخبير الإقتصادى أو السياسى لوجدته كذلك .

إذاً فالعنايـة بالجزئيات وإهمال الأصول والكليات هو داء مستحكم فى دماء المسلمين ، وقبل أن يكون مستحكماً فى حياتهم هو داء مستحكم فى عقولهم .

٢ - القضية الثانية : الأصول والفروع

لا شك أن هذا مما يحتاج إليه فى تقسيم مسائل الدين أن يقال إن مسائل الدين تنقسم إلى أصول وفروع ، وإن شئت فقل إلى : كليات وجزئيات أو أى تعبير آخر ، وليس المقصود بالأصول والفروع أن نقول مثلاً : إن الأصول هى أبواب العقائد والأمور النظرية العلمية ، والفروع هى الأشياء العملية . كلا .

ولكننا نقول : المسائل الجليلة الكبيرة سواء كانت علمية عقائدية أو كانت عملية فهى من الأصول ، والمسائل الدقيقة سواء كانت مسائل فى الأمور العملية أو كانت فى الأمور العلمية فإنها تعتبر فروعاً كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتاوى « ٥٦/٦ » .

فمثلاً : العلم بوجوب الواجبات كأركان الإسلام الخمسة هو من قضايا الأصول الظاهرة مع أنه أمر عملي .

كما أننا نجد فى المسائل العملية فروع وجزئيات ، فمثلاً : قضية الصلاة ، الصلاة أصل ، لكن تفاصيل سنن الصلاة وما يستحب أن يقال فيها مثلاً هذا ليس أصلاً بل هو من الأمور الدقيقة فيصح أن يُسمى فرعاً أو أن يُسمى أمراً جزئياً . فهل ترى يا أخى مثلاً أن من العدل أن نستغرق وقتنا فى الحديث عن جزئية من هذه السنن الواردة فى الصلاة كالحديث عن جلسة الاستراحة أو الحديث عن التورك أو الحديث عن صفة الهوي إلى السجود ، هل ينزل على يديه أولاً أم على ركبتيه أولاً ، هل ترى من الحكمة أن نستغرق فى هذه المسألة ونقتلها بحثاً ونؤلف فيها عدداً من الكتب وتكون هى حديثنا فى مجالسنا وهى مجال المنافرة والمنافسة بين الأقران وبين الطلاب ؟ ، ويتلقاها صغار طلاب

العلم قبل كبارهم على حين أنك لا تكاد تجد من يتكلم مع الناس فى قضية الصلاة وأهميتها ومنزلتها من الدين كلاماً يصل إلى قلوبهم ويخاطبهم ويخالط شغافهم ويدعوهم إلى ارتياد المسجد فى كل وقت .

ولا تجد مثلاً من يتكلم عن قضية الخشوع فى الصلاة الذى هو روحها ولبّها ، بل إنك تجد من الفقهاء من يقول : إن الخشوع فى الصلاة مستحب وليس واجباً ، مع أن الصلاة التى لا يكون فيها خشوع وحضور قلب وإقبال لا تؤثر فى صاحبها تقوىً لله عز وجل ولا خوفاً منه ولا إقبالاً على الطاعة والعبادة وإن كانت بكل حال هى صلاة شرعية ما لم يرتكب فيها ما يبطلها . إذاً فى المسائل العملية فروع وأصول وكذلك فى المسائل العلمية الإعتقادية كليات وجزئيات ، فمثلاً أركان الإيمان الستة [1] التى يقرأها صغار الطلاب فى مدارسهم : أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . هذه أصول وكليات وقضايا عامة لا شك فيها ، فإنكارها كفر والحديث عنها من أولى الأولويات وأهم الضرورات ولكنك تجد فى مقابل ذلك فى مسائل الأمور العلمية والإعتقادية جزئيات من المؤكد أن العبد لا يسأل عنها فى قبره وليست من شروط دخول الجنة ، فمثلاً سؤال : هل رأى رسول الله ربه ليلة الإسراء أم لم يره ؟ ، مثلاً قضية النزاع فى معانى بعض الآيات القرآنية أو بعض الأحاديث النبوية ، بل حتى النزاع فى ثبوت بعض الأحاديث أو عدم ثبوتها .

---

(١) والإيمان بضع ، قال ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » . أخرجه البخارى « ٩ » ومسلم « ٥٨ » .

قضية الكلام ، ما يتكلم أهل المنطق فيما يسموه بالجوهر الغرضى أو بقاء الأغراض ، قضية فناء النار هل تفنى النار أم لا تفنى ؟ هذه ليست من القضايا الكلية التى جاء النبى ببيانها بياناً واضحاً لا إشكال فيه بحيث أن يكون المخالف فيها كافراً أو فاسقاً أو مبتدعاً بل هى من القضايا التى يمكن أن تعتبر من أمور الفروع والجزئيات فى المسائل العلمية وليست هذه كتلك ، فالمؤكد أيضاً : أن العبد لن يُسأل فى القبر : هل تؤمن بفناء النار أو لا تؤمن بها ؟ ، وليس هذا من شروط دخول الجنة مثلاً [1] أن يقول هذا أو ذاك ، ولكنه ينبغى للعبد أن يؤمن بأركان الإيمان الستة التى منها : الإيمان باليوم الآخر وما فيه مثل الإيمان بالجنة والإيمان بالنار وليس بمجرد الإيمان اللفظى ، إنما الإيمان الذى يتحول إلى عقيدة فى القلب ويتحول إلى سلوك ويتحول إلى عمل [2] ويتحول إلى تحريض للمؤمن على مواجهة متاعب الطريق والصبر فى سبيل الله والجهاد آثر ما يبقى على ما يفنى ، وآثر الآخرة على الأولى وهذه أمور كلية وتلك أمورٌ جزئية والأمر فى ذلك إن شاء الله واضح ولا إشكال فكلنا ندرك فى بديهة عقولنا أن هناك أموراً كلية وأموراً جزئية وهناك أصول وهناك فروع وأن هناك المهم وهناك الأهم ، وهذا أمر ليس مخصوصاً فقط بقضية بما ذكرت بل حتى فى أمور الحياة الدنيا ، فمثلاً لو نظرنا إلى جسم الإنسان ، جسم الإنسان

---

(١) وليس من شروط دخول الجنة أيضاً تكفير المعين أو تكفير الحاكم ، أو التوقف فى أمر الناس وامتحانهم هل تكفر بالطاغوت ؟ هل تكفر بالنظام ؟ فالنبى قبل إسلام من أسلم بمجرد نطقه بالشهادتين ثم يأتى بعد ذلك تعليمه جزئيات التوحيد والعقيدة .

(٢) الإيمان عند أهل السنة : « إعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان » وخالف أبو حنيفة فقال : الإيمان الإعتقاد والنطق والعمل من لوازم الإيمان ولا يدخل فى مسماه ، وذهب فريق إلى أن الإيمان : مجرد التصديق فقط ولو لم يكن معه قول ولا عمل . وهذا مذهب الجهمية والأشعرية . وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هو القول فقط . ارجع إلى : شرح الطحاوية « ٣٧٣ » والملل والنحل للشهرستانى « ١٤٠/١ » .

فيه قلب وفيه المخ وفيه الأجهزة الرئيسية فى الجسم مثل الجهاز الهضمى والجهاز التنفسى ، وهذه قضايا أو هذه أشياء أصلية أساسية فى الجسم لا غنى عنها فى أى حال من الأحوال ، لكن هناك أشياء أخرى كالأطراف مثلاً أصابع اليدين وأصابع الرجلين ، قد يُقطع من الإنسان أصابع أو إصبع ويظل الإنسان حياً سليماً معافى ، فليس الإهتمام بالقلب والمخ والجهاز العصبى والجهاز الهضمى والجهاز التنفسى مثلاً كالإهتمام بالظفر إذا انقطع أو انقلع أو كالإهتمام ببنان طرف الإصبع ، هذا أمر يدركه الجميع كما أنه معروف من الناحية العقلية والطبية والوقائية ، فكذلك هو من الناحية الشرعية فمثلاً لو أن إنسان اعتدى على آخر بقطع إصبعه أو أنملة من أنامله لم يكن عقابه أو قصاصه أو جرمه فى ذلك كجرم إنسان اعتدى على روح الإنسان أو على جهاز حساس أو تسبب فى تعطيل حواسه التى يحتاج إليها فى حياته وهذا أيضاً لا يعنى التفريط فى شئ ما يعنى .

إن الإصبع صار ليس له قيمة أو ليس له أهمية لكن ما يعنى أن تضع الإصبع مكان القلب أو المخ أو مكان الجهاز العصبى أو الجهاز الهضمى أو الجهاز التنفسى تعطى كل شيء بحسبه فلا تفرط بشيء أو تهمل شيء لكن هذا كبير وهذا صغير وهذا مهم وهذا أهم وهذا أصل وهذا فرع وهذا كل وهذا جزء ، لو تصورت مدينة من المدن كالرياض مثلاً أو غيرها ، هذه المدينة لسكانها حاجات ضرورية ، فمن حاجاتهم الضرورية مثلاً الماء ، يجب أن يتوفر الماء للشرب يكون ماء نقياً صافياً صحياً ، قضية الهواء التى يتنفسونه أن يكون هواء نقياً بعيداً عن التلوث . قضية الطعام وتوفير السلع والمواد الإستهلاكية التى يحتاجونها فى يومهم وليلتهم . هذه قضايا لا غنى للإنسان عنها لأنه لا يمكن

أن يعيش الإنسان بدون هواء أو بدون ماء أو بدون طعام ، فهى لا غنى عنها فهى حاجات ضرورية لابد للإنسان منها ، وهنا فى مقابل هذا أمور ثانوية كالأمور الجمالية مثلاً والحدائق والمتنزهات وغيرها ، فهذه أشياء ليس بالضرورة أن يفرط الإنسان فيها ، لكن ليس صحيحاً أن يهتم الإنسان بالقضايا التجميلية والقضايا الشكلية والقضايا التحسينية على حساب القضايا الكلية ، فإذا أمكن أن يجمع الإنسان بين هذا وذاك فيوفر للإنسان الهواء الملائم والمناخ الملائم والماء الملائم والطعام الملائم وقبل ذلك كله يوفر له حاجاته المعنوية حاجات الدين حاجات الخلق ، حاجات التقوى ، حاجات الحماية ، ومع ذلك استطاع أن يضيف إلى هذا العناية بالقضايا التجميلية والتحسينية كنظافة الشوارع مثلاً وتحسين الحدائق هذا أمر جيد ونور على نور لكن إن كان لا يمكن الجمع بين هذه الأمور الأخرى فينبغى أن يبدأ بالأهم توفير الضروريات التى لابد للإنسان منها وتلك الأمور الأخرى فإن تيسرت فيها وإن لم تتيسر اليوم تتيسر غداً أو بعد غد ، وإذا كان هذا على مستوى مدنية مثلاً فتصور على مستوى دولة مثلاً بأكملها فإن المدن الكبرى فى أى دولة بما فى ذلك العواصم والقصبات [1] الرئيسية هى شريان الحياة فى أى دولة من الدول ولذلك إذا أراد عدو أن يعرب عن نهاية التحدى لدولة فإنه يحاول أن يعتدى على عاصمتها لأنه يعتبر هذا ضرب فى الصميم كأنك أصبت إنسان أو حاولت أن تصيبه فى قلبه أو فى صميم فؤاده على أن هناك فى مقابل هذا أطراف قرى صغيرة وبوادى وهجر ومدن صغيرة وأشياء لا شك أن العناية بها ضرورياً وفواتها يعتبر خطراً مهدداً

---

(١) القصبات : المدن الكبرى أو العواصم .

لأنه قد يتطور إلى ما بعد لكن لا يمكن أن يقاس بأى حال من الأحوال بضياع المدن والقصبات الرئيسة ولذلك كان الفرسان والقواد على مدار التاريخ يعتنون بتحصين المدن الكبرى والعواصم عناية خاصة ويولونها إهتماماً من نوع خاص لأنهم يدركون أنها هى القلب النابض وإذا توقف القلب عن دفع الدم توقف عن النبض معناه الحكم على جسمك كله بالزوال والفناء ، إذاً هذه قضية معروفة عند الإنسان فى أموره الدينية والدنيوية والمدنية وسائر أموره على حد سواء ولا يعنى تقسيم هذه الأشياء أن هناك أشياء مهمة وأشياء أهم منها وأشياء كلية وأشياء جزئية وأشياء أصلية وأشياء فرعية ، أن نقول لك فرط فى الفرعية .

أرجو يا أخى لا تفهم منى هذا وإياك إياك أن تحمّل كلامي ما لم أقل ، فإن الله سبحانه وتعالى يحب العدل [1] وأنت تفهم الكلام على ما قيل دون أن تشطط بالكلام إلى كلام لم يُقَلْ ، دعنى لا تحكم على الذى ما بقلبى ولكن احكم على ما تسمعه منى ، نحن نقول أن هناك أصول وفروع ، هذه الأصول ينبغى أن تعطى من العناية حقها وقدرها وكذلك الفروع تعطى من العناية حقها وقدرها لكن من المؤكد أنه ليس حق الأصول كحق الفروع ولا حق الكليات كالجزئيات ولا حق الضروريات كحق المسائل التحسينية أو التكميلية أو الحاجية ونحن نتفق جميعاً لو أن إنساناً كان يهتم بعلاج شئ قد أصابه أو علاج ظفر له وهو يعانى بمرض مزمن فى قلبه أو يعانى بجلطة فى المخ مثلاً أو أنه يهتم بعلاج الزكام على حين أن عنده مشكلة قد تؤدى إلى

---

(١) قال تعالى : ﴿ وإذا قُلتُم فاعدلُوا ولَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ « الأنعام ١٥٢ » .

الوفاة ، نحن نعتبر هذا نوعاً مما يخالف العقل والحكمة ، فليس من العقل والحكمة أن نهتم بهذه القضية ليس العقل والحكمة فقط ، بل حتى يخالف الشرع ، فالشرع لا يعذر الإنسان مثلاً أن يشتغل بعلاج قضية جزئية بجسمه بما يترتب عليه فوات الأصل كالمحافظة على الأصل ، فالمحافظة على الأصل أولى ـ فإذا ـ كان من الممكن أن ـ نجمع بينهم ـ فهذا أمر ـ جيد ، لو أن إنساناً ـ مثلاً اهتم بتسمية المدينة كما أسلفنا وكما أننا ذكرنا فى قضية الجسم اهتم بعلاج الإصبع ونسى الجلطة فى المخ ، وكذلك لو أن إنساناً مثلاً اهتم بتسمية المدن أو ترقيم شوارعها أو تنظيفها ولكنه غفل عن توفير حاجاتها الضرورية ، لم يكن هذا الأمر محموداً ، أو تجميل حدائقها فى أى حال من الأحوال فلابد من تأمين ضرورات الدين والدنيا قبل أى شئ آخر .

إذاً هناك ضرورات وهناك كماليات وهناك تحسينات وهى درجات بعضها فوق بعض نحن لا ندعوا إلى إهمال شئ منها لكننا ندعوا إلى أمرين :

الأمر الأول :

العناية بالجميع لأنه من الدين ، فالأصل من الدين والفرع من الدين والكل من الدين والجزء من الدين ، ونحن ندعوا إلى الإهتمام بالجميع لأنه من الدين .

الأمر الثانى :

إن يُعطى كل شئ ما يستحق ، فلا يوضع الأصل مكان الفرع ولا يوضع الفرع مكان الأصل والغريب أيها الأخوة أن هذا الأمر ظاهر بأمور عديدة :

فأولاً : من ناحية الأدلة الشرعية أننا حين نقرأ القرآن الكريم ألا نتعجب ونحن نسمع جميعاً قراءة إمامنا – جزاءة الله خيراً – يعنى هذه الآيات المزلزلة

التى تهز القلوب وتدور الدموع حتى من الغلاظ ، هذه المعانى الكبيرة العظيمة التى تُردد فى آيات القرآن الكريم لا تكاد تجد وجهاً من القرآن الكريم إلا وفيه الحديث عن الدار الآخرة وعن البعث وعن الحساب مثلاً . كم أخذت من إهتمام الدعاة والعلماء والمصلحين والخطباء والمربين ، كما أقول بدون تحفظ أنها لم تأخذ مقدار ما تأخذ قضية جزئية فرعية من أحوال كثير من الدعاة ولا أبالغ إذا قلت : إن من الدعاة ما قد يهتم بقضية مثلاً التسبيح باليد اليمنى أو اليدين كليتهما ربما يهتم بهذه القضية أكثر بما يهتم بتلك القضايا الكبرى التى أبدأ القرآن فيها وأعاد والتى هى موضوع القرآن الكريم فى معظمه .

القضايا الإعتقادية الكبرى :

قضايا الإعتقاد الكبرى التى تسيّر دفة الحياة وتحكم العقول وتصلح القلوب وتبنى الأمة وتحدد الإتجاه ، أصبحت قضايا لا نحتاج إليها إلا فى حالة واحدة شوف كيف انتكست المسألة مع الأسف الشديد إذا أردنا أن نؤكد للناس على أهمية قضية جزئية حاولنا أن نتحايل بربطها بالآثار حتى تطلع حقاً قضية مهمة بدليل أنها قضية ترتبط بالعقيدة وقد يكون ربطها بالعقيدة صحيح فتكون مهمة حينئذ لكن أحياناً قد نتكلف ربطها بالعقيدة لنؤكد للناس أن هذه اقضية مهمة مع أننا نسينا العقيدة نفسها فى بعض الأحيان نستخدمها أو نحاول أن نستفيد منها فى ذكر بعض القضايا الجزئية وتضخيمها وتكبيرها .

أضرب لك مثال : قضية اليهود والنصارى أو مسألة الولاء والبراء بشكل عام بغض أعداء الإسلام باتخاذ طريق آخر مناوء لهم إعلان الحرب عليهم بكل صوره وأشكاله البراءة منهم والكفر بهم وما يعبدون من دون الله وإعتقاد عداوتهم للمسلمين وأنهم لا يريدون للأمة خير فى حاضرها ومستقبلها فى

دينهـا ولا فى دنيـاها ﴿ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (١) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (٣) ، ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ ﴾ (٤) ، إلى آخره حشد هائل جداً من القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية يبدئ ويعيد فى قضية البراءة من المشركين وإعلان هذه البراءة ، والبعد عنهم ومجانبة طريقهم ومجانبة خطهم ومنهجهم ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ (٥) ، هذا المعنى الكبير ما نصيبه من عقولنا ، ما نصيبه من قلوبنا ، ما نصيبه من مجالسنا ، ما نصيبه من صحافتنا ، ما نصيبـه من إعلامنـا ، ما نصيبه من مجتمعاتنـا ، ما نصيبه من مؤسساتنا سواء كانت مؤسسات رسمية أو مؤسسات غير رسمية ، ما نصيب هذا الموضوع وإبرازه وتربية الناس عليهم بحيث يصبح جزءً (٦) من حياتهم لا يتجزأ ويأخذ حجمه الطبيعى وهو حجم كبير ؟ قليل .

لكننا فى الوقت الذى نتناسى فيه خطر النصارى مثلاً أو نتناسى فيه خطر اليهود ، بل نتناسى تحالفهم الخطير اليوم على أمة الإسلام وتنأذيهم بالقضاء على هذه الأمة وصراخهم : المسلمون قادمون ، وننسى هذا الحلف الإستراتيجى

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١١٨ » .
(٢) سورة المائدة الآية « ٥١ » .
(٣) سورة البقرة الآية « ١٢٠ » .
(٤) سورة القلم الآية « ٩ » .
(٥) سورة الممتحنة الآية « ٤ » .
(٦) تكتب هكذا ، فلا داعى لزيادة الألف بعدها .